الهجرة نواة الثورة الجزائرية

د/ توفيق مزاري عبد الصمد
قسم العلوم الإنسانية
كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية
جامعة المدية
Email : mazro64@yahoo.com

Résume :

Après avoir défini le terme immigration, nous démontrons les principaux causes de l immigration Algérienne vert la France et l'orient islamique, poussé par les causes économiques, politiques, religieuses et culturelles. Tout en démontrant l'évolution de ce phénomène et les régions Algériennes qui on connu une forte immigration justifier par les chiffres et les statistiques. Et d'un autre coté on a évoqué les causes d'immigration en France et ses conséquences sur la révolution de libération Algérienne.

ملخص

بعد تعريف الهجرة يتطرق المقال إلى الدوافع الرئيسة لهجرة الجزائريين نحو فرنسا والمشرق الإسلامي، الدوافع الاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية، مبينا تطورها وأهم المناطق الجزائرية التي كثرت منها الهجرة، ومستشهدا على ذلك بالأرقام والإحصائيات.

والشق الثاني من المقال يركز على الهجرة إلى فرنسا أسبابها ووضع المهاجرين وأعدادهم ونتائج ذلك على الثورة التحريرية في الجزائر.

مقدمة :

يقصد بالهجرة انتقال مجموعات سكانية من الوطن الأصلي إلى مناطق أخرى ، و قد تكون داخلية لعوامل اقتصادية ، أو خارجية أي الانتقال خارج الحدود السياسية للوطن الأم .

فالهجرة تخضع عموما لعملية الطرد و الجذب ، و المتمعن لتاريخ الهجرة الجزائرية في الفترة الاستعمارية يجد أن عامل الطرد كان اكثر تأثيرا نظرا لكون إمكانيات البلاد الاقتصادية كبيرة ، غير أن السياسة الاستعمارية المجحفة أدت إلى هجرة الجزائريين بل تهجيرهم . و هي شكل من أشكال المقاومة السياسية .

و قد عرّف المؤتمر الدولي في روما 1924 المهاجر (هو كل أجنبي يصل إلى بلد طلبا للعمل و يقصد الإقامة الدائمة... و هذا نقيض العامل الذي يصل إلى بلد للعمل فيه بصفة مؤقتة). و إذا رعينا هذا التعريف تعذر علينا إطلاق كلمة المهاجر على جل الجزائريين في فرنسا لأن من خصائص المهاجر الجزائري ارتباطه بأرضه ، ومن أشكال هذا الارتباط مشاركته في الثورة التحريرية ، فهجرته إذن مؤقتة أو مرغمة .

دوافع الهجرة الجزائرية :

أولا: الاقتصادية :

1- استلاب الأراضي من أصحابها الشرعيين الجزائريين و تسليمها للأوربيين، و للشركات الاستغلالية الكبرى في إطار خدمة الاقتصاد الاستعماري ، ففي الفترة الممتدة ما بين (1830 - -1934) كان الاستعمار الفرنسي قد بنى 972 قرية استيطانية ، ووزع ما يقرب 1.5هكتار على الأوربيين من أجود الأراضي الساحلية.**(1)**

ويبدو أن الفرنسيين قد وجدوا في الأراضي الجزائرية عوضا عما كانوا يفتقدونه في بلدهم بسبب النكبات السياسية و الكوارث الطبيعية ، فمثلا عندما فقدت فرنسا الألزاس و اللورين في حرب 1870 نقلت عائلات كثيرة إلى الجزائر ومنحتها أراض و وفّرت لها أسباب الاستقرار . وكذلك سنة 1875 بسبب مرض الكرمة في فرنسا نقلت زراعتها إلى الجزائر – فارتفع من 12ألف هكتار إلى 400 ألف هكتار سنة 1934 – و كل ذلك على حساب زراعة الحبوب التي هي الغذاء الأساسي للسكان ، إضافة إلى انعكاسات الأزمة الاقتصادية العالمية على فرنسا والجزائر و ما خلّفته من بطالة عامة**(2)**.ونتيجة ذلك و بحلول سنة 1936 اصبح العامل الديموغرافي يدفع الجزائريين إلى الهجرة لأن الإنتاج المحلي أصبح عاجزا عن إطعام كل السكان .

2- سيطرة الأوربيين و الشركات الكبرى- مثل شركة جنيف وشركة الجزائر**(3)** على التجارة الداخلية و الخارجية و الخدمات ، أما الصناعة الثقيلة فلا وجود لها . و غاية ما هناك صناعة غذائية فلاحية تخدم الزراعة الأوربية ،و ورشات تصليحية لا إنتاجية تشغل يد عاملة فنية أوربية فقط ، أي انعدام صناعة قادرة على استيعاب اليد العاملة الجزائرية .

3- هذا فضلا على حالة الإفلاس و كساد السوق و منافسة الصناعة الأوربية للصناعة المحلية و ازدياد الضرائب.

ثانيا : الدوافع السياسية :

1-رفض الوجود ا لاستعماري الذي اعتبره الشعب الجزائري غير شرعي و رفض البقاء تحت حكم أجنبي ، فترسخت لديه القناعة بضرورة التخلص منه :

-أولا بالمقاومة الإيجابية (العسكرية) التي لم تتوقف طيلة فترة الاحتلال

-ثانيا بالمقاومة السلبية (الهجرة) حتى لا يبقى تحت هذا الاحتلال الدخيل 2- القوانين الجائرة و الاستثنائية و خنق الحريات خاصة قانون الأهالي 1871 3- المطاردات العسكرية للثوار خاصة بعد ثورة المقراني .

ثالثا: الدوافع الدينية و الثقافية : التجنيد الإجباري و فرار الشباب الجزائري من الخدمة العسكرية بموجب قانون **-1**

-1-محاولات التنصير أو التمسيح التي قام بها الكاردينال لا فيجري لتحويل الجزائريين عن عقيدتهم الإسلامية . 2-

مراقبة فرنسا للمؤسسات الدينية و مصادرة الأوقاف و إدارتها للشؤون الدينية.و رغم إعلانها سنة 1907 فصل الدين عن الدولة**(4)** ، و سحبت سلطتها عن المسيحية و اليهودية فقد احتفظت بها بشكل فعال بخصوص الإسلام ،بدعوى أنه لا انفصال بين الروحي و الدنيوي في الإسلام .

3- سياسة التجهيل التي سلكها النظام الفرنسي. **(5)**

جرة الجزائرية كانت في أغلبها نتيجة عوامل طرد بسبب سياسة الاستعمار المبنية على : - التفقير-و هكذا نستنتج أن اله التجهيل **تطور الهجرة الجزائرية :**- التمسيح – التهجير -الإبادة

كانت الهجرات الأولى بدون إثارة انتباه ، و كانت الطليعة الأولى من المهاجرين هم الرعاة الذين رافقوا أنعام مستخدميهم

المعمرين إلى مرسيليا ، والخدم لدى الخواص من الفرنسيين .

و رغم انعدام الإحصاءات الدقيقة فإن الهجرة الجزائرية نحو العالم الإسلامي كانت فردية أحيانا و جماعية أحيانا أخرى، و كانت الحكومة العامة في الجزائر تغض الطرف عن الجزائريين المتنقلين إلى المشرق بدعوى أداء فريضة الحج أو التجارة ، ثم يستقرون بشكل نهائي في بلاد الشام أو مصر أو الحجاز **(6)** . وتعتبر الفترة التي تلت ثورة المقراني من أخصب فترات هذه الهجرة خاصة من سكان الجنوب القسنطيني ومن منطقة القبائل . وكانت تونس محطة العبور و هذا ما أشار إليه تقرير للقنصل الفرنسي بتونس في أوت 1876 موجها للحاكم العام بالجزائر قدرّ فيه عدد المهاجرين الجزائريين المقيمين بتونس بحوالي 16600شخص،وأغلبهم خرجوا دون تصريح فارين عبر الطرق البرية**(7)** . كما اتجه معظم المهاجرين إلى سوريا – هجرة أسر كثيرة من مليانة سنة 1899 ، و سطيف1910، وقسنطينة 1911 – و أشهرها من تلمسان سنة 1911 حيث غادر أكثر من 1200عائلة المنطقة إلى سوريا أي حوالي 2000 مهاجر و التي أثارت جدلا في الأوساط الفرنسية وجهت خلالها الاتهام للدولة العثمانية على أنها وراء هذه العملية.

كما هاجر الجزائريون إلى ، المغرب الأقصى ، فلسطين ، شبة الجزيرة العربية ، تركيا ، إيران ، و وصلوا حتى الهند .

الهجرة إلى فرنسا :

أما فرنسا فقد كانت الهجرة إليها خلال القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين محدودة جدا اقتصرت على فئة من المستخدمين لدى المعمرين الفرنسيين و بعض المغامرين التجار .

و استنادا إلى إحصائية قدمتها الإدارة الفرنسية بالجزائر سنة 1912 بأن عدد المهاجرون الجزائريون لم يتجاوز 4300مهاجر ، و بعد صدور قانون 1874 القاضي بتسريح الهجرة ازداد عدد المهاجرين و توسعت رقعة تواجدهم. و مع بداية الحرب العالمية الأولى جنّدت السلطة الاستعمارية أعداد كبيرة من الجزائريين لكسب هذه الحرب ، بلغ عددهم 120ألف أبقتهم فرنسا غداة انتهاء الحرب للإسهام في إعادة بناء الاقتصاد الفرنسي المنهار ، فارتفع العدد بعد نهاية الحرب العالمية الأولى إلى 270,000 مهاجر .

يضاف إلى ذلك تدهور نسبة الولادات في فرنسا في الفترة من 1900إلى 1939 مما أدى بها إلى جلب أعداد متزايدة من الجزائريين إلى فرنسا ، و إنشاء ما كان يسمى آنذاك بالشركة العامة للهجرة سنة 1924.**(8)**

و تعاظمت موجة الهجرة مع الحرب العالمية الثانية و بعدها ، فارتفع عدد العمال الجزائريين المهاجرين سنة 1960 إلى 500ألف عامل قام بجلبهم الديوان الوطني الفرنسي للهجرة **(9)**. و رغم استعمالهم كيد عاملة رخيصة لسد العجز في هذا المجال ، و إسهامهم في إ عادة التوازن الاقتصادي الفرنسي إلا أن العمال المهاجرون الجزائريون في هذه الفترة الطويلة من الاغتراب بقي أغلبهم في أسفل السد و لم يحصلوا على أية ترقية اجتماعية .

و كان نتيجة الإجحاف الفرنسي حتى أن حركات تعتبر أجنبية كالنقابات العمالية الفرنسية و اتحادية C.G.T.U تذمرت من ممارسات الإدارة الفرنسية فدعت إلى احتضان العمال الجزائريين و تمكينهم من دور فعّال و ذلك بإنشاء اتحادية جزائرية من النقابات الثورية .**(10)**

و بينما كان المهاجرون في المشرق الإسلامي يعيشون الحياة السهلة مع الكسل ، كان مواطنوهم في فرنسا يعيشون حياتهم الصعبة و النشيطة .

لكن الجزائريين في فرنسا لم يشعروا كعمال أنهم يختلفون كثيرا عن زملائهم عمال فرنسا . و قد أدى بهم الإسهام في الأحزاب السياسية و الصحافة و حرية الاجتماع ،**(11)** وتبادل الأفكار إلى أن يضيفوا ذخيرة جديدة للحركة الوطنية تمثل في الفكر النقابي و التنظيمي للقوى النضالية و التي ستستفيد منها الحركة الوطنية الجزائرية فيما بعد.

ولهذا عندما اتصل الأمير خالد بالمهاجرين في فرنسا لمس فهم الشعور الوطني و الوعي السياسي**(12)**، وروح التضامن مما شجعهم على تأسيس هيئة سياسية تجمع شمل العمال المغاربة ويقصد بها نجم شمال إفريقيا الذي يلعب الدور

الريادي في الحركة الوطنية الجزائرية و تفجير ثورة نوفمبر 1954.

انظر الجدول المرفق

الفترات	الذهاب	الإياب	الفارق
1920 – 1924	213000	155700	57300
1925 – 1929	177600	174700	2900
1930 – 1934	105100	121700	16600
1939– 193	145500	85100	60400
1944– 194	34000	20000	14000
1945 – 1948	185600	86500	99100
1949 – 1954	763500	621300	142200

المصدر: نتائج إحصائية لتعداد سكان الجزائر العاصمة 1956

أهميتها :

1–تزايد الوعي السياسي بصفة عامة و الشعور الوطني بصفة خاصة لدى المهاجرين نتيجة احتكاكهم بغيرهم و بالحركات العمالية و اليسارية في فرنسا . ولعل أهم ذلك في 7 ديسمبر 1924 انعقد أول مؤتمر لمهاجري الشمال الإفريقي . في باريس حضره 150 عضو يمثلون 75 ألف عامل من المغرب العربي في باريس معظمهم جزائريون .

إن أهمية هذا المؤتمر واضحة من انه كان مقدمة لإنشاء نجم شمال إفريقيا عام 1926 و الذي لعب الدور الأساسي في بلورة الفكر الاستقلالي و الثوري في الجزائر فيما بعد.

2– دور المهاجرين في الثورة التحريرية الذين كان لهم الفضل في دعم الثورة عن طريق التمويل و التموين العسكري و نقل معركة الجزائر إلى قلب البلد المستعمر والضغط عليه . و لعل من أهم ذلك اليوم الذي نتذكره سنويا 17 تشرين الأول (أكتوبر) 1961 فما هو هذا اليوم – ما موقعه من تاريخ الثورة و ما أهميته في مسارها و مسار الاستقلال .

حوادث 17اكتوبر1961

أولا : الأسباب

1–يدخل ضمن إستراتيجية جبهة التحرير الوطني في نقل الثورة إلى أرض العدو بصفة مكثفة .

2– رغبة المهاجرين في إلغاء حضر التجول (Couvre.Feu) و فك قيود الرقابة البوليسية على تحركاتهم العادية و القمع الوحشي للشرطة الفرنسية ضد المهاجرين الجزائريين بصفة خاصة . و ذلك رد فعل على النشاطات الفدائية التي قام بها مناظلو اتحادية جبهة التحرير بفرنسا بتاريخ 25أوت 1958 في معظم المدن الفرنسية و التي تلقى فيها العدو ضربات موجعة في منشآته الاقتصادية .

3- تفويت الفرصة على ساسة ديغول الهادفة إلى إنجاح المفاوضات لصالح الطرف الفرنسي من خلال تكسير النظام الجبهوي التعبوي في فرنسا الذي كان يغذي الكفاح المسلح في الداخل ،و يدعم ميزانية الحكومة الجزائرية المؤقتة .

ثانيا: الوقائع

لإحباط هذه التدابير طلبت اللجنة الاتحادية لجبهة التحرير الوطني إلى جميع الجزائريين
في فرنسا أن يتجولوا و يشلوا هذا المنع . و استجابة لهذا الطلب خرج ما يقارب 60ألف في حوالي السادسة بعد انتهاء العمل يوم 17 أكتوبر متظاهرين في صفوف هادئة تندد بمنع الجولان ، و الميز العنصري و عمليات الاختطاف و القتل المتبع ضد الجزائريين ، و تنادي بحياة الحكومة الجزائرية المؤقتة .

و قد خصص اليوم الأول 17 أكتوبر لخروج الجزائريين عبر كامل أرجاء فرنسا خصوصا بعمالة باريس . أما اليوم الثاني 18 أكتوبر تضمن خروج النساء الجزائريات رفقة أطفالهن في الشوارع للمطالبة بإلغاء حضر التجول و الإفراج عن المعتقلين الجزائريين الذين القي عليهم القبض في اليوم الأول .

و قد اختيرت ساحة الأوبرا Opéra قلب باريس النابض ، بالحركة ليلا ونهارا لموقع التجمع ، و عندها جاءت الأوامر من محافظ الشرطة الفرنسي (Maurice- papon)

بمحاصرة المتظاهرين و قمعهم بكل الوسائل قائلا للشرطة الفرنسية :(C.R.S)

(13) << Régler vos affaires avec les Algériens vous même.

Quoi qu'il arrive vous êtes couvert >>

فأغلقت الشرطة كل المنافذ التي تصل إلى ساحة Opéra خاصة منافذ الميترو والحافلات. وشمل القمع الوحشي النساء و الأطفال و مع تقدم ساعات مساء ذلك اليوم (17 أكتوبر) صعدت الشرطة من وتيرة العنف لتفريق المتظاهرين مستخدمة كل الوسائل .بل أكثر من ذلك وصلت الوحشية إلى رمي الجزائريين أحياء في نهر السين .

و هكذا سقط العديد من المتظاهرين شهداء إلى جانب كبير من الجرحى فكانت الحصيلة ثقيلة و رغم أن موريس بابون مهندس هذه المجازر ((أراد أن تحاط العمليات التي قامت بها مصالح الأمن الفرنسية بنوع من السرية))**(14)** فقد صرحت السلطات الفرنسي ب-200 ضحية - في حين يقول أحد الجزائريين الذين عايشوا الحدث بالنظر إلى ما شهده من فضاعة و عنف :أن العدد بلغ 500 شهيد، و7500 معتقل**(15)** . و رغم ذلك تمكن المتظاهرون من الوصول إلى شارع Champs Lyses وهو المكان المقصود .

أهمية الحدث و نتائجه :

1-بينت هذه المظاهرات تلاحم الثورة في الجزائر مع مشاعر المهاجرين حتى بلغ الحماس بالبعض إلى حد المطالبة بإعادة تنظيم مظاهرات أخرى عبر أرجاء فرنسا رغم القمع البوليسي المسلط .

2- أدت إلى انهزام دعاة الجزائر فرنسية و أضافت لبنة جديدة في فكرة ديغول الداعية إلى الاقتناع أكثر بالحل السياسي و ضرورة التفاوض الجدي مع الثورة الجزائرية بقيادة ج. ت.و - F.L.N

3-تعرت بلاد حقوق الإنسان و التي شعارها (Fraternite – Egalité – Liberté) أمام الرأي العام العالمي الذي اطلع على بشاعة القمع الوحشي من خلال وسائل الإعلام .

4- كان الحدث دافع لتكسير نظام المساجين الجزائريين في فرنسا ، فمنذ فاتح نوفمبر 1961 تمّ الإعلان عن إضراب الجوع الذي استغرق 20 يوما داخل مختلف السجون ، و بلغ هذا الحدث لمنبر الأمم المتحدة ، و فرض على فرنسا الاعتراف بالحقوق السياسية للمساجين الجزائريين في فرنسا .

و هكذا كان حدث 17 أكتوبر 1961 ثمرة من شجرة الهجرة و دليل على شعبية الثورة و تلاحمها في الداخل والخارج و قوتها

التي أفشلت سياسة العزل و المراوغة والمماطلة التي لم يبق لها إلا طريق التفاوض الجدي على استقلال الجزائر.

الهوامش

(1) E . Albertini :L'Afrique du Nord dans l'histoire. Lyon. 1937p 301

(2) عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون: الكفاح القومي و السياسي من خلال مذكرات معاصر الفترة (1920–1936)ج1 . المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984ص 321

(3)د/ يحي بوعزيز : السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830–1954) – ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر 1995–ص 238

(4)د/ أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر1983 –ج2 ص126

(5)راجع سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر و انعكاساتها على الشخصية الجزائرية

د/ رابح تركي : التعليم القومي و الشخصية الجزائرية –

الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1981

(6) نادية تطرشون : الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام

مجلة الرؤية –العدد الثالث ، السداسي الأول 1997 ص168

(7)Rager (j .j) : Les Musulmans algérien en France et dans les pays islamiques , les belles lettres , Paris 1950 ,p12

(8)زيادة نشاط الهجرة الجزائرية إلى فرنسا ، حدا بالمعمرين إلى الضغط على الحكومة حتى تحد من تيارها الجارف الذي يحرمهم من هذه الأيدي العاملة الرخيصة فترتفع الأجور تبعا لذلك .. و في 4 أبريل1928 صدر مرسوم يحتم أن يدافع المهاجر تأمينا قدره 125 فرنك ، و أن يحصل على تأشيرة تمنح بعد زيارة طبية.

انظر :د/ يحي بوعزيز : السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830–1954) – ديوان المطبوعات الجامعية –الجزائر 1995 ص 206

(9) راشدين .ح : إعادة دمج العامل المهاجر في الحياة الوطنية – مجلة الجيش – عدد235 ذو الحجة 1403هـ/ أكتوبر 1983 ص6

(10) عبد الرحمن بن إبراهيم بن عقون: نفس المرجع ص322

(11) أبو القاسم سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية ج2 ص 134

(12) عبد الحميد زوزو:الهجرة و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919–1939) – المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية –وحدة رغاية الجزائر1985 ص17

(13) جريدة الوطن الجزائرية : مقال حول 17 أكتوبر 1961 بتاريخ 18 أكتوبر 1996

(14)راجع – جملة الحقائق التاريخية عن تراجيديا الجزائريين في 17 أكتوبر 1961 ، وما قامت به السلطات الفرنسية من قتل مئات الجزائريين فضلا عن ممارسا التعذيب و المضايقات و التحرش بالمهاجرين المغاربة و غيرها من الإجراءات التعسفية – في كتاب:

Jean – Luc Einaudi , La bataille de Paris – 17 octobre 1961 – seuil

(15)عثمان الطاهر علية : الثورة الجزائرية أمجاد وبطولات

منشورات المتحف الوطني للمجاهد– مطبعة المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر و لإشهار، وحدة الطباعة برويبة الجزائر 1996 ص 190